المحاضرة الرابعة

٢- رواة القبيلة :

وهذه الطائفة من رواة الشعر قديمة أيضاً ، تأتي أصولها من أعماق ذلك العصر القديم حتى مطلع العصر الإسلامي ، حيث يتسلم أمانة الشعر رواة

Scanned By Camera Scanner

الشعر من القرن الهجري الأوَل وقد كان الشعر في القبيلة أثمن تراث فيها ، يحتوي تاريخها وأمجادها،لذلك كانت القبيلة تقدر للشعر أهميته وخطره ، فكان الاحتفال بمولد شاعر جديد ، أي نبوغه ، يعتبر عيداً قومياً يدخل ضمن طقوسهم وأعرافهم الاجتماعية ، بل كانت بعض القصائد والدواوين في القبيلة تعد من المعالم الثقافية البارزة في حياتهم . وقد كانت معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي التي بلغت أبياتها عند بعض الرواة ألف بيت ، تعد من أبرز أعمال التغلبيين حتى حسدتهم عليها القبائل ، فهجاهم أحد شعراء بكر بن وائل فقال:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمةٍ ... قصيدة قالها عمرو بن كلثومِ
يروونها أبداً مذ كان أولهم ... يا للرجال لشعرٍ غير مسؤمِ

ولا تتوقف هذه القصيدة عند حفظها وتلقينها لصغارهم وكبارهم ، بل تتجاوز ذلك الى دراستها وشرح ما فيها من خبر وقصة وتاريخ وأسطورة وغيرها ولا ضير في أن يكون رواة القبيلة هم رواة الشاعر نفسه ، على أن يكونوا من أبناء القبيلة لان بعض رواة الشعراء قد يكونون من قوم أباعد.

Scanned By Camera Scanner

٣-الرواة العلماء :

تحدثنا عن رواة الشاعر ورواة القبيلة ، وبقي علينا أن نسأل : هل كان جميع هؤلاء الرواة يصدقون في كل ما يروونه فلا يصنعون ولا يتزيدون ولا يغيرون ؟ والجواب هو انّ بعض الرواة كانوا غير صادقين في كل ما يروونه ، إذ كانوا يصنعون الشعر ويغيرون فيه ، وقد يكون افتعال الرواة للشعر المصنوع يخفي وراءه عدّة أسباب منها : طلب المجد الزائف لقبيلة ما ، وقد يكون الجشع وحب المال والحقد على الآخرين أو الحسد أو التوهم والغلط أو التملق لذوي السلطان،وربما يغيّر الرواة في بعض مقاطع الأشعار أو ألفاظها ، ليس لسوء قصدٍ كما تقدم،وإنما لإصلاح خللٍ أو تبديل عبارة لم تستقم مع السياق،أو لسهوٍ أو نسيان أو اجتهادٍ خاص، وقد كان الرواة قديماً يصلحون الأشعار ويسدون ما نقص منها.ولم يكن جميع الرواة بقادرين على اصلاح الشعر وتقويمه،بل كان يتطلب من الراوية أن يكون ملماً بجانب من العلم والمعرفة . وقد تطور هذا النوع من الرواة في الاسلام فظهر عندنا ما اصطلح على تسميته بالراوية العالم : وهو الشخص الذي لم يكتفِ بالشعر رواية وانشاداً بل مُدارسة ونقداً وتحليلاً وتفسيراً ولم تظهر سمات الراوية العالم إلا في أواخر القرن الهجري الأول ، فلما أطل القرن الثاني كان لدينا من أمثال أبي عمرو بن العلاء ، وحماد الراوية وغيرهم طائفة الرواد من الرواة العلماء ، انجبوا تلامذة نابهين مثل المفضل الضبي وخلف الاحمر وتلامذتهم مثل أبي عبيدة والأصمعي ثم تلامذتهم من بعدهم وهؤلاء جميعاً نطلق على كل فرد منهم اسم : الراوية العالم ويتميزون عن رواة الشاعر ورواة القبيلة بانهم لا يكتفون بالرحلة أو الاستماع فحسب بل

Scanned By Camera Scanner

اضافوا اليها البحث العلمي الدقيق ، فقد كان الراوية العالم ينقد الرواية ويشرحها ويفسر غريبها ويورد ما فيها من قصة أو خبر.

وبعد حديثنا عن أنواع الرواة نقول:انَّ الشعر الجاهلي وصل عن طريق الرواية الشفوية لا الكتابة إذ على الرغم من ان الكتابة كانت معروفة في عصر ما قبل الاسلام إلا انه ليس بين أيدينا أي دليل مادي على أنَّ الجاهليين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم،ربما كتبوا بها بعض قطع أو بعض قصائد ، ولكنهم لم يتحولوا من ذلك الى استخدامها أداة في نقل دواوينهم الى الأجيال التالية ، فقد كانت وسائلها الصعبة من الحجارة والجلود والعظام وسعف النخل تجعل من العسير ان يتداولها الشعراء في حفظ دواوينهم ، إنما حدث ذلك في الاسلام،بفضل القرآن الكريم وما أشاعه من كتابة آيه وتحول جمهور العرب معه من أميتهم الكبيرة الى قارئين يتلون.

وخلاصة القول انَّ الرواية الشفوية كانت وسيلة انتشار الشعر في القبائل، فهي الوسيلة التي كانوا يعرفونها وقد نفذ شعرهم من خلالها الى آفاق الجزيرة ، يقول المسيب بن علس:

فلأهدينَّ مع الرياح قصيدةً منّي مُغلغلةً إلى القعقاعِ
تردُ المياه فما تزال غريبةً في القوم بين تمثّلٍ وسماعِ

Scanned By Camera Scanner